

التعاليم العقديّة للإمام الحسن المجتبي عليه السلام
"دراسة تحليلية في ضوء المصادر الروائيّة"

السيد محسن الموسوي (*)



(*) استاذ في الحوزة العلمية، باحث في الفكر الاسلامي / ايران - قم المقدسة.

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل التعاليم العقديّة للإمام الحسن المجتبيّ (عليه السلام)، وذلك من خلال تحليل نصوصه المباشرة من خطب ورسائل ووصايا واحتجاجات. كما يسعى البحث إلى رصد أبرز التحدّيات الفكرية والانحرافات العقديّة التي واجهها الإمام (عليه السلام) في عصره، وكيفية مواجهة الإمام (عليه السلام) لهذه التحدّيات. اعتمد البحث على المنهج الوصفيّ التحليليّ والتاريخيّ، بالاستناد إلى المصادر الروائيّة والتاريخيّة. ومن أبرز نتائج البحث: أصالة وعمق المنظومة العقديّة للإمام الحسن (عليه السلام) وارتباطها الوثيق بالقرآن والسنة، وتكامل وتنوع منهجيّته في تبيين المعارف (التي شملت الخطابة، والمكاتبة، والحوار، والقدوة، والوصايا)، وحكمته وبصيرته في مواجهة التحدّيات الفكرية، وأثره الخالد كمرجعيّة فكرية وعقديّة للأمة.

الكلمات المفتاحيّة:

الإمام الحسن المجتبيّ (عليه السلام)، التعاليم العقديّة، المنهجية، التحدّيات الفكرية، التوحيد، النبوة، الإمامة، المعاد.



مقدّمة

تحتلّ دراسة الفكر العقديّ لأئمة أهل البيت ﷺ أهميةً قصوى في فهم الإسلام الأصيل وتجلياته عبر العصور؛ فهم ﷺ ورثة علم النبوة، وحملة أمانة الرسالة، وأمناء الله على دينه وعباده. وكان الإمام الحسن بن علي المجتبي ﷺ، السبط الأوّل لرسول الله ﷺ، وثاني أئمة الهدى، شخصيّة محوريّة في مرحلة مفصليّة من تاريخ الأمة الإسلاميّة. لقد شهد عصره ﷺ، وخاصة مرحلة إمامته بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين ﷺ، تحولات سياسيّة واجتماعيّة وفكريّة عميقة، وبروز تحديات عقديّة استلزمت مواجهةً حكيمةً وبصيرةً نافذة.

إنّ أهمية هذا البحث تنبع من الحاجة إلى استجلاء الجوانب العقديّة في سيرة الإمام الحسن ﷺ، التي غالباً ما تطغى عليها الدراسات السياسيّة المتعلقة بصلحه مع معاوية. بينما كانت تعاليمه العقديّة ومنهجيّته في تبين المعارف ومواجهة الانحرافات الفكريّة ركناً أساسياً في حفظ هويّة الدين وصيانة أصوله.

الإطار التاريخي والفكري المضطرب لعصر الإمام الحسن ﷺ

لم تكن المرحلة الممتدة من وفاة رسول الله ﷺ، إلى عصر الإمام الحسن ﷺ، مجرد تسلسل لأحداث سياسيّة؛ بل كانت مرحلة تحولات جذريّة وعميقة طالت بنية المجتمع الإسلاميّ، ونسيجه الاجتماعي، ومشربه الفكري، ممّا أفرز تحديات معقّدة ألقت بظلالها الثقيلة على المشهد العقديّ والفكريّ للأمة.

عند شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، لم تكن الأمة قد تجاوزت بعد آثار الصدمات العنيفة والانقسامات الحادّة التي خلّفتها الفتن المتلاحقة، بدءاً من السقيفة، ومروراً بالفتنة الكبرى التي أعقبت مقتل عثمان، وانتهاءً بحروب الجمل وصفين والنهروان. في هذا الجو المشحون بالتوترات والترقب، بايع

الناس في الكوفة، ومن ثم في الحجاز واليمن وفارس وسائر الأقطار التي دانت بالولاء لأبيه عليه السلام، الإمام الحسن بن علي عليهما السلام خليفةً شرعياً^[١].

ومع ذلك، كانت هذه البيعة محفوفةً بمخاطر جمّة، نابعة من طبيعة التركيبة الاجتماعية والسياسية الهشّة، خاصّة في الكوفة التي شكّلت عاصمة الخلافة وقاعدة الجيش. لم تكن الكوفة كتلةً متجانسةً، بل كانت فسيفساء من القبائل العربيّة المختلفة، والموالي، وبقايا الجيوش الفاتحة، ومجموعات ذات ولاءات وانتماءات متباينة. هذه التركيبة الاجتماعية والسياسية المعقّدة والمضطربة في الكوفة، التي شكّلت قاعدة حكم الإمام الحسن عليه السلام، كانت من أهمّ العوامل التي أثّرت على قراراته، وجعلت من مهمّة مواجهة التحديّ الأموي أمراً شبه مستحيلٍ بالوسائل العسكريّة التقليديّة.

في المقابل، كانت جبهة الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، الذي حكمها لأكثر من عشرين عاماً والياً ثم مدّعياً للخلافة، تتمتع بتماسكٍ ظاهريٍّ أكبر. فقد استطاع معاوية، بمكره السياسي وقدرته على توظيف الأموال وشراء الولاءات، أن يبني قاعدةً قويّةً ومطيعةً في الشام. كما نجح في عزل أهل الشام عن بقية العالم الإسلاميّ وتعبئتهم فكرياً وعاطفياً لصالحه، مستغلاً قضية مقتل عثمان كذريعة أساسية لحروبه ومطالبه^[٢]. هذا التباين في قوة الجبهتين الداخليّة كان له أثر حاسم في مآل الصراع.

لم يكن الصراع في عصر الإمام الحسن عليه السلام مجرد صراعٍ على السلطة، بل كان مصحوباً بجدلٍ فكريٍّ وعقديٍّ عميق، وبروز تياراتٍ فكريّةٍ وعقديّةٍ شكّلت تحدياً للفهم الأصيل للإسلام وثوابته.

لم ينته خطر الخوارج بهزيمتهم في النهروان؛ بل استمر فكرهم، القائم

[١] أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ٦١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣١/١٦.

[٢] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/٤٤٠ وما بعدها، حول ولاية معاوية على الشام وتوطيد حكمه.



على التفسير الحرفي للنصوص، والتكفير بالكبائر، ورفض أيّ سلطة لا تخضع لمعاييرهم الضيقة، في التأثير على قطاعات من المجتمع. كان الخوارج يرون في التحكيم الذي قبله أمير المؤمنين عليه السلام كفرًا؛ لذا عدّوا من رضي به أو لم يكفره كافرًا. امتدّ هذا الموقف ليشمل الإمام الحسن عليه السلام بعد قبوله بالصلح، إذ عدّه بعضهم (مذللّ المؤمنين)، أو خارجًا عن (حكم الله). لقد كانوا يمثلون تيارًا فكريًا متطرفًا يرفض أيّ مرونة أو اجتهاد أو نظر في المصالح والمفاسد، ويقدم نموذجًا خطيرًا للغلو في الدين والتعصب الأعمى. وقد شكّل هذا التيار ضغطًا إضافيًا على الإمام الحسن عليه السلام، سواء من خلال محاولة التأثير على جنوده، أو من خلال القيام بحركات تمرّد مسلّحة محدودة، أو من خلال تشويه صورته أمام العامة.

كانت مسألة الإمامة والخلافة هي القضية المركزية التي دار حولها الصراع الفكري والسياسي منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي عصر الإمام الحسن عليه السلام، بلغ هذا الجدل ذروته. مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي يمثلها الإمام الحسن عليه السلام تؤكد أنّ الإمامة منصبٌ إلهيٌّ، يُنال بالنصّ والوصية من النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام السابق، وأنّ الإمام يجب أن يكون معصومًا وأعلم الناس وأفضلهم. وقد تجلّى ذلك بوضوح في رسائله واحتجاجاته على معاوية، حيث استند إلى قرابته من النبي صلى الله عليه وآله، ووصية أبيه، وفضله، وعلمه^[١].

وكان معاوية يروّج لمفهوم مختلف للخلافة، يركز على القوة والغلبة، والقدرة على إخضاع الناس (ولو بالقهر)، ووراثة المُلْك. لم يكن يشترط في الخليفة علمًا خاصًا أو عصمةً أو نصًّا إلهيًا.

أمّا مدرسة الجمهور أو أهل السنة والجماعة، – وإنّ لم يكن هذا المفهوم قد تبلور بشكل نهائيّ في ذلك الوقت، إلا أنّ الأفكار التي شكّلت لاحقًا مذهب أهل السنة والجماعة في الخلافة كانت موجودة – فهي تركّز على اختيار أهل الحلّ والعقد، أو بيعة العامة، أو الشورى (بمفاهيمها المختلفة آنذاك)، مع عدم اشتراط

[١] راجع: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣١/١٦-٣٤.

العصمة أو النصّ في الخليفة. هذا التباين العميق في فهم طبيعة الحكم وأساس شرعيته كان من أهم أسباب الصراع الفكري والسياسي في ذلك العصر.

الدعاية الأموية المضلّلة وتأثيرها على الوعي العام

اعتمد معاوية ومشروعه الأمويّ بشكل كبير على آلة دعائيّة ضخمة تهدف إلى تشويه صورة أمير المؤمنين ﷺ، وأهل بيته، وإلصاق التهم بهم، وفي المقابل تلميع صورة بني أمية وتقديمهم كورثة شرعيّين للخلافة.

تمثّلت هذه الدعاية في:

- سبّ أمير المؤمنين ﷺ على المنابر، وهو ما سنّه معاوية وجعله سياسةً رسميةً في المناطق الخاضعة لنفوذه^[١]. هذا السبّ لم يكن مجرد شتم، بل كان يهدف إلى طمس فضائل الإمام عليّ ﷺ، وتشويه صورته في أذهان الأجيال الجديدة التي لم تعاصره.

- وضع الأحاديث المكذوبة في فضائل بني أمية، أو في ذمّ أهل البيت ﷺ، فقد استأجر معاوية بعض ضعاف النفوس من الرواة لوضع أحاديث تخدم مشروعه السياسيّ.

- تأويل النصوص الدينيّة بما يخدم أغراضهم، مثل محاولة تفسير بعض الآيات أو الأحاديث بنحوٍ يدعم شرعيّة حكمهم، أو يبرر أفعالهم.

- نشر الشائعات والأكاذيب؛ لإثارة الفتنة، وتفريق صفوف المسلمين.

كان على الإمام الحسن ﷺ أن يواجه هذه الحرب الدعائيّة الشرسة بتبيان الحقائق، والدفاع عن سيرة أبيه الطاهرة، وتأكيد فضائل أهل البيت ﷺ، وفضح أساليب التضليل الأمويّة. وقد ظهر ذلك في احتجاجاته ومناظراته^[٢].

[١] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤١٣/٣-٤١٤.

[٢] راجع: معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسن المجتبيّ ﷺ، ٢٢٦-٢٣١.



المسائل الكلاميّة الناشئة وتحدياتها

بدأت بعض المسائل الكلاميّة الدقيقة، التي لم تكن مطروحةً للنقاش العام في عهد النبي ﷺ، والخلفاء الأوائل بالحدة التي بدت عليها لاحقاً، تثير جدلاً واسعاً في أوساط المسلمين. ومن أبرز هذه المسائل قضية القضاء والقدر وعلاقتها بالفعل الإنساني. وقد أدت النقاشات حول هذه المسألة إلى ظهور اتجاهاتٍ مختلفة، بعضها يميل إلى الجبر المطلق، وبعضها إلى التفويض المطلق.

لقد فرض هذا المناخ الفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ المعقّد والمتوتر، مسؤولياتٍ جساماً على عاتق الإمام الحسن المجتبي ﷺ. فقد كان عليه أن يحافظ على جوهر العقيدة الإسلاميّة من أيّ تحريفٍ أو تزييفٍ، وأن يقدّم الفهم الصحيح للمعارف الدينيّة للأمة، وأن يواجه التيارات الفكرية المنحرفة بالحجّة والبرهان، وأن يسعى في الوقت نفسه لحقن دماء المسلمين والحفاظ على وحدتهم قدر الإمكان.

التعاليم العقديّة الأساسيّة للإمام الحسن المجتبي ﷺ

يمثّل هذا العنوان الركيزة الأساسيّة لدراستنا، إذ يسبر أغوار المنظومة العقديّة التي أرساها الإمام الحسن المجتبي ﷺ في مرحلة مفصليّة من تاريخ الإسلام، اتّسمت بتياراتٍ فكريّة متلاطمة وتحدياتٍ عقديّة ناشئة. إنّ التعاليم العقديّة لأئمة أهل البيت ﷺ، بوصفهم عدل القرآن الكريم وأمناء الوحي وورثة علم النبوة، لا تُعدّ اجتهاداتٍ فكريّة أو آراء كلاميّة، بل هي تجسيدٌ حيٌّ وبيانٌ مفصّلٌ لأصول الدين الحنيف كما نزلت على قلب المصطفى ﷺ. وفي هذا الإطار، تتجلى أهميّة تعاليم الإمام السبط ﷺ في دورها المحوري لتأصيل المبادئ الإيمانيّة الجوهريّة، وتصحيح المفاهيم التي قد يشوبها الغموض أو التحريف، وترسيخ دعائم العقيدة الإسلاميّة الصافية في مواجهة التيارات الفكرية التي بدأت تؤثر في الوعي الإسلامي العام.

إنَّ مرحلة إمامة الإمام الحسن عليه السلام، وإن كانت قصيرة نسبياً ومليئةً بالتحديات السياسيَّة، فإنَّها لم تخلُ من بصماته العَقديَّة الواضحة. فقد واجه عليه السلام بداية ظهور مسائل كلاميَّة دقيقة، وشبهات حول مفاهيم أساسيَّة كالإمامة والقضاء والقدر، بالإضافة إلى الحاجة المستمرة لتذكير الأمة بأسس التوحيد الخالص، ومقتضيات النبوة الخاتمة والمعاد.

يهدف هذا الفصل، بناءً على ذلك، إلى استجلاء وتأصيل المرتكزات الأساسيَّة للفكر العَقديّ عند الإمام الحسن عليه السلام من خلال تحليل نصوصه المباشرة - سواء كانت خطباً، أو رسائل، أو وصايا، أو احتجاجات، أو أدعية - المتناثرة في المصادر الروائيَّة والتاريخيَّة المعتبرة. سيتم التركيز على كيفيَّة تناوله عليه السلام لأهم أبواب الاعتقاد: التوحيد الإلهي بمراتبه المتعدِّدة وصفاته الكمالِيَّة، ومفهوم النبوة ومكانة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله، وخصائص رسالته العالميَّة، ومبدأ الإمامة كضرورة لاستمرار الهداية الإلهيَّة ومصاديقها، بالإضافة إلى قضية المعاد، وحقيقة الحياة الدنيا، والاستعداد للأخرة، مع الإشارة إلى بعض المسائل العَقديَّة الأخرى التي وردت في تراثه الشريف. إنَّ التحليل المعمَّق لهذه التعاليم سيكشف عن عمق البصيرة العَقديَّة للإمام الحسن عليه السلام، وقدرته على تقديم رؤية إسلاميَّة متكاملة وأصيلة، شكَّلت حصناً فكرياً للأمة في مواجهة التحديات، ومنازة هداية للأجيال اللاحقة.

التوحيد الإلهي وصفاته الكمالِيَّة

يُشكل التوحيد الإلهي النقطة المركزيَّة والمحور الأساس الذي تدور حوله جميع عقائد الإسلام وشرائعه وقيمه الأخلاقيَّة؛ فهو ليس مجرد إقرار بوحدانيَّة الخالق، بل هو منظومة معرفيَّة وسلوكيَّة متكاملة تحدّد علاقة الإنسان بربه وبالكون وبنفسه. لقد كان دأب الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وآلهم عبر التاريخ هو الدعوة إلى توحيد الله الخالص ونبذ كلِّ أشكال الشرك والوثنيَّة. واستمراراً لهذا النهج، اضطلع أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، بمسؤولية جسيمة في



تأصيل هذا المبدأ وتعميقه في وعي الأمة، وتنزيه الذات الإلهية عن كل ما قد يلصق بها من أوصاف المخلوقين أو تصوّرات العقول القاصرة.

لقد واجه الفكر الإسلاميّ في مراحلهِ الأولى، وخاصّة مع اتساع رقعة الدولة الإسلاميّة ودخول ثقافات وأديان مختلفة تحت لوائها، تحديات فكريّة تتعلّق بفهم كنه الذات الإلهية وصفاتها. فبرزت اتجاهات كلاميّة حاولت إخضاع الغيب للمقاييس الحسيّة؛ ممّا أدّى إلى ظهور نزعات تجسيميّة أو تشبيهيّة، وفي المقابل، ظهرت اتجاهات أخرى مالت إلى التعطيل ونفي الصفات بشكلٍ قد يفرغ مفهوم الألوهية من محتواه الحيّ الفاعل.

أكّد الإمام الحسن عليه السلام في مواضع متعدّدة، وبأبلغ العبارات، على أنّ الله واحدٌ أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأنّ معرفته الحقّة لا تتمّ إلاّ بتنزيهه المطلق عن مشابهة المخلوقين في ذواتهم أو صفاتهم أو أفعالهم، وعن كلّ ما يخطر بالبال أو يتصوّره الوهم من كميّات أو حدود. ففي خطبته البليغة التي ألقاها وهو غلامٌ صغيرٌ في مسجد الكوفة بأمر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، والتي أدهشت الفصحاء وأثارت إعجاب أبيه حتى قبله بين عينيه مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^[١] - قدّم الإمام عليه السلام وصفاً عميقاً للذات الإلهية يفيض بالتنزيه والتقديس: «الحمدُ لله الواحدِ بغيرِ تشبيهه، الدائمِ بغيرِ تكوينِ، القائمِ بغيرِ كلفة، الخالقِ بغيرِ منصبه، الموصوفِ بغيرِ غاية، المعروفِ بغيرِ محدوديّة، العزيزِ لم يزل قديماً في القدم، رُدِعت القلوبُ لهيبته، وذُهِلت العقولُ لعزّته، وخضعت الرقابُ لقدرته. فليس يخطرُ على قلبِ بشرٍ مبلغُ جبروته، ولا يبلغُ الناسُ كنهَ جلاله، ولا يفصحُ الواصفونَ منهم لكنّه عظمتُه، ولا يقومُ الوهمُ منهم التفكّرَ على مضامينه [سببه]. ولا تبلّغُه العلماءُ بألبابها، ولا أهلُ التفكّرِ بتدبيرِ أمورِها. أعلمُ خلقه به الذي بالحدِّ لا يصفُه. يُدرِكُ الأبصارَ، ولا

[١] آل عمران: ٣٤.

تُدركُهُ الأبصارُ، وهو اللطيفُ الخبيرُ»^[١].

يفتح الإمام عليه السلام وصفه لله تعالى بتأكيد وحدانيته المطلقة، مقرونة بنفي التشبيه، وهو ردٌ صريحٌ على أي محاولة لتصور الذات الإلهية بصورة مادية. عبارة (بغير تشبيه)، تنفي أي نوع من أنواع المماثلة. وقوله (الدائم بغير تكوين المعروف بغير محدوديّة، العزيز لم يزل قديمًا في القدم، رُدعت القلوب لهيبته، وذُهِلت العقول لعزته، وخضعت الرقاب لقدرته. فليس يخطرُ على قلب بشر مبلغُ جبروته، ولا يبلغُ الناسُ كنهَ جلاله، ولا يفصحُ الواصفونَ منهم لكنّه عظمتّه)، يشير إلى أزليّة الله تعالى وقدم وجوده، وأنّ وجوده ليس حادثًا. و(القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبه)، ينفي عن الفعل الإلهي أيّ شائبة نقصٍ أو تعب. أما (الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدوديّة)، فيؤكّد على أنّ إدراكنا لصفات الله ومعرفتنا به هي معرفةٌ محدودةٌ، فصفاته تعالى لا تنتهي إلى غاية يمكن الإحاطة بها. وتصوّر عبارات (ردعت القلوب لهيبته... ولا تبلغه العلماء بألبابها...) عظمة الله وجلاله الذي يفوق كلّ تصوّر بشريّ، وأنّ العقول البشريّة قاصرةٌ عن الإحاطة بكنه ذاته.

وفي وصيته الخالدة لأخيه سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، يجدّد الإمام الحسن عليه السلام هذا العهد التوحيديّ بإقرار صريح بوحدانيّة الله المطلقة وأحقّيته بالعبادة والحمد: «أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّه يعبدّه حقّ عبادته، لا شريك له في الملك، ولا ولي له من الدّلّ، وأنّه خلق كلّ شيءٍ فقدره تقديرًا، وأنّه أولى من عبْد، وأحقّ من حُمد، ومن أطيع فشكر، ومن عُصي فغفر، ومن تاب إليه قبل، ومن استُقبل أقاله...»^[٢].

هذه الشهادة تؤكّد على التوحيد الخالص ونفي الشريك، والإقرار بالعبوديّة الحقّة لله. كما تنفي الشريك عن الله في ملكه وحاجته إلى ولي، مستحضرةً معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبْرَهُ

[١] الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ٧٩-٨٠.

[٢] الطوسي، الأمالي، ١٥٨.



تَكْبِيرًا^[١]. وثبتت صفة الخلق والتقدير الإلهيّ الشامل، كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^[٢]. وتختتم بيان أحقيّة الله بالعبادة والحمد، وإشارة إلى لطفه ورحمته في شكر الطائعين ومغفرة العاصين، ممّا يجمع بين جلال التوحيد وجمال الرحمة الإلهية.

القضاء والقدر

شكّلت مسألة القضاء والقدر وعلاقتها بالاستطاعة وحرية الاختيار، إحدى المعضلات الفكرية التي واجهت المسلمين. وقد تصدّى الإمام الحسن عليه السلام لبيان الموقف العقديّ الأصيل والمتوازن، وهو ما يُعرف بمبدأ (الأمر بين الأمرين)، لا جبر ولا تفويض. وتعدّ رسالته الشهيرة إلى الحسن البصريّ من أهمّ الوثائق التي تشرح هذا الموقف. فبعد أن بلغه اضطراب الحسن البصريّ في هذه المسألة، كتب إليه الإمام عليه السلام رسالةً جامعةً، يؤكد فيها على أنّ الإيمان بالقدر (بمعنى علم الله الأزلي) جزءٌ أساسيّ من الإيمان، ويرفض بنحو قاطع نسبة المعاصي إلى الله تعالى. ويوضح أسس (الأمر بين الأمرين)، بقوله: «إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَمْ يُطْع مُكْرَهًا، وَلَمْ يُعَصَّ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادَ سُدًى مِنَ الْمَمْلَكَةِ، بَلْ هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَقْدَرَهُمْ».

ويبين دور المشيئة الإلهية في الطاعة والمعصية، مؤكدًا أنّ الله يوفّق للطاعة، وقد يمنع من المعصية بلطفه، ولكن إذا وقعت المعصية فهي باختيار العبد. ويستشهد بالقرآن الكريم والحجج العقلية لدحض مقولات الجبرية والمفوضة، ويخلص إلى أنّ الله «أمرهم تخيرًا ونهاهم تحذيرًا، وكلّف الضعيف ما يطيق، ولم يكلّف القوي فوق طاقته»^[٣].

الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره عند المصائب والابتلاءات

من لوازم التوحيد الصحيح، الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره في ما

[١] الإسراء: ١١١

[٢] الفرقان: ٢

[٣] ابن شعبة، تحف العقول، ٢٣١.

يتعلّق بالمصائب. فعندما توفيت إحدى بناته، كتب إليه بعض أصحابه يعزونه، فردّ عليهم بكتاب جاء فيه: «أما بعد، فقد بلغني كتابكم تعزوني بفلاته، فعند الله أحتسبها تسليماً لقضائه، وصبراً على بلائه، فإنّ أوجعتنا المصائب، وفجعتنا النوائب، فإنّ الذي نرجو من ثواب الله عليها أرجى عندنا ممّا فاتنا منها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^[١].

هذا الموقف يعكس إيماناً عميقاً بأنّ كلّ ما يجري في الكون هو بتقدير الله وحكمته، وأنّ الصبر والتسليم عند المصائب هو من شيم المؤمنين، وأنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى. فالاحتساب وطلب الأجر من الله، والتسليم لقضائه، والصبر على بلائه، مع الاعتراف بالألم الطبيعي للمصيبة، وتوجيه الأنظار إلى الثواب الأخروي الأعظم، كلّها معانٍ إيمانية عميقة تجلّت في ردّ الإمام عليه السلام.

النبوة ومقام الرسول الأعظم عليه السلام

تشكل النبوة الركن الثاني من أركان الإيمان، وهي الصلة بين الخالق والمخلوق. ويأتي في ذروة هذا الصرح، مقام خاتم الأنبياء، سيّدنا محمد عليه السلام. لقد أولى أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الإمام الحسن عليه السلام، عنايةً فائقةً لبيان هذا المقام النبويّ. كان الإمام الحسن عليه السلام دائم الإشارة إلى جدّه المصطفى عليه السلام، بأوصاف الكمال والجلال التي وردت في القرآن الكريم، مؤكّداً على الأبعاد العالميّة والإنسانية لرسالته. ففي خطبته الشهيرة بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، افتخر الإمام عليه السلام بنسبته إلى النبيّ عليه السلام قائلاً: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله عليه السلام. أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير»^[٢].

هذا التعريف بالنفس من خلال الانتساب إلى رسول الله عليه السلام وصفاته

[١] الطوسي، الأمالي، ٢٠٢.

[٢] المفيد، الإرشاد، ٨/٢.



القرآنيّة (البشير، النذير، الداعي إلى الله، السراج المنير) ليس مجرد فخر عائلي، بل هو تأكيد على الامتداد الرسالي والوراثة العلمية والروحية، وتذكير للأمة بطبيعة الرسالة التي يمثل الإمام عليه السلام استمراراً لها. وفي رسالته الهامة إلى معاوية بن أبي سفيان، يصف الإمام الحسن عليه السلام بعثة النبي ﷺ وأثرها الحضاري العظيم، مؤكداً على عالميّة رسالته: «فإنّ الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، ومنّةً للمؤمنين، وكافّةً للناس أجمعين، ليظهر به الحقّ، ويدحض به الباطل، ويذلّ به أهل الشرك، ويعزّز به العرب عامّة، ويشرف به من شاء منهم خاصّة، فقال في كتابه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾» [١] [٢].

هنا يؤكّد الإمام عليه السلام عالميّة رسالة النبي ﷺ وشمولها، وأنّها رحمةٌ للعالمين كافّة، ومنّةٌ عظيمة خصّ الله بها المؤمنين. كما يبيّن أهداف الرسالة السامية في إقامة الحقّ وإزهاق الباطل. لم يكن ارتباط الإمام الحسن عليه السلام بجده المصطفى ﷺ مجرد ارتباط نسبي، بل كان ارتباطاً علمياً وروحياً عميقاً، فقد نشأ في أحضان النبوة، وتلقى مباشرةً من معينها. فقد روي عنه عليه السلام أنه «كان يحضر مجلس رسول الله ﷺ وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمّه فاطمة عليها السلام فيلقي إليها ما حفظه...» [٣].

وقد روى الإمام الحسن عليه السلام العديد من الأحاديث مباشرةً عن جده ﷺ في مختلف جوانب الدين، ممّا جعله حلقة وصلٍ رئيسة في نقل السنّة النبويّة. ومن هذه الأحاديث: في العبادات والأدعية: حديث دعاء القنوت في الوتر: «علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: اللهمّ اهْدني فيمن هديت...» [٤]. في الأخلاق والسلوك والورع: حديث «دع ما يريئك إلى ما لا يريئك، فإنّ الصدق

[١] الزخرف: ٤٤

[٢] ابن شهر آشوب، مناقب، ٣١/٤.

[٣] م. ن، ٧/٤.

[٤] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢٤٥/٣؛ الإربلي، كشف الغمة، ٥٣٥/١.

طمأنينة، وإنّ الكذب ريبة»^[١]. في الأحكام الشرعية الخاصة بأهل البيت عليهم السلام: حديثه عن منع النبي ﷺ له من أكل تمرّة من تمر الصدقة وهو طفل، وقول النبي ﷺ: «إنا آل محمّد لا تحلّ لنا الصدقة»^[٢]. إنّ مكانة الإمام عليه السلام بوصفه إماماً معصوماً تضمن أمانته ودقته في نقل السنّة، وشمولية روايته لمختلف أبواب الدين، ومواجهته لمحاولات طمس السنّة أو تحريفها.

يؤكد الإمام الحسن عليه السلام أنّ رسالة النبي ﷺ لم تكن محصورةً في قوم أو زمان، بل كانت رسالةً عالميّةً خاتمة. ويتّضح هذا من خلال روايته عليه السلام للحديث المهمّ الذي دار بين النبي ﷺ، ونفر من اليهود، وفيه تصريح النبي ﷺ بأنّه «خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين»، وأنّ رسالته «إلى الناس جميعاً»، كما أكدت الآية الكريمة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^[٣].

إنّ سؤال اليهود عن نطاق الرسالة يعكس الذهنيّة التي قد تحصر النبوة، وإجابة النبي ﷺ القاطعة، ونزول الآية القرآنيّة كحسمٍ إلهيٍّ، ورواية الإمام الحسن عليه السلام لهذا الحديث، كلّها تؤكّد على تبنّيه عليه السلام لهذا المفهوم الجوهريّ وتأصيله.

الإمامة: مفهومها، ضرورتها، ومصاديقها

تعدّ قضيّة الإمامة، في منظور مدرسة أهل البيت عليهم السلام، من أهمّ الأصول العقديّة بعد التوحيد والنبوة، بل هي الامتداد الطبيعي والضروري للنبوة الخاتمة. وقد اضطلع الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بدور محوريٍّ في تأصيل هذا المفهوم وتثبيتته في وعي الأمة، خاصّة في ظلّ التحدّيات السياسيّة والفكريّة التي عصفت بالمجتمع الإسلامي في عصره. أكّد الإمام الحسن عليه السلام أنّ الإمامة اختيارٌ إلهيٌّ مباشر، وعهدٌ ربانيٌّ يُعهد به إلى أشخاصٍ محدّدين. الإمام هو الحجّة البالغة لله

[١] الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، ٤٩٩/٢؛ الحلواني، نزهة الناظر وتبنيه الخاطر، ٢٨.

[٢] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢٥٠/٣؛ الإربلي، كشف الغمّة، ٥٣٥/١.

[٣] الأعراف: ١٥٨. الصدوق، الأمالي، ١٨٧.



على خلقه، والقائم بأمره، وهادي الأمة. ففي وصيته لجنادة بن أبي أمية، يذكر الإمام عليه السلام حديث جده رسول الله ﷺ الذي يؤكد على الطبيعة الإلهية لاختيار الأئمة وعددهم: «والله، إنه لعهدٌ عهده إلينا رسول الله ﷺ، أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منّا إلا مسمومٌ أو مقتول»^[١].

يكون ذلك امتداداً لما أمر علي بن أبي طالب عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام أن يكتب إلى معاوية، حيث وصف الإمام عليه السلام أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم ودورهم الإمامي، مما يوضح مفهوم الإمامة وخصائص أصحابها: «أما بعد، ... نحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وفصل الخطاب ... نحن نورٌ لمن تبعنا، وهدى لمن اقتدى بنا ... بنا فتح الله الدين، وبنا يختمه»^[٢].

هذا التشبيه البليغ يصور الأئمة عليهم السلام بالنجوم الهداية، ويؤكد على استمرارية خط الإمامة. كما يحدّد خصائصهم كأمناء الله، وأصحاب علم خاص، ومصدر للنور والهداية، وأن مسيرة الدين مرتبطة بهم. ويؤكد أنّ ولايتهم وطاعتهم جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان. كانت الوصية من النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ثم منه إلى الإمام الحسن عليه السلام، هي الحجّة الأقوى. ففي رسالة كتبه إلى معاوية بعد شهادة أبيه عليه السلام، قال بوضوح: «... وإنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما نزل به الموت ولأنّي هذا الأمر من بعده، وأوصى إليّ بذلك»^[٣]. هذه الوصية ليست شخصية، بل فعل نبوي وإمامي يحدّد الخليفة الشرعي، وهي سنّة جارية في الأنبياء، وحجّة ملزمة على الأمة. وتشير الروايات إلى تسليم أمير المؤمنين عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام كتب العلم وموارث النبوة كعلامات للإمامة^[٤]. استشهد الإمام عليه السلام بآيات قرآنية تشير إلى مكانة أهل البيت عليهم السلام. ففي خطبته بعد استشهاد أبيه عليه السلام، استدللّ بآية

[١] الخزاز، كفاية الأثر، ٢٢٧.

[٢] الأحمدي الميانجي، مكاتيب الأئمة عليهم السلام، ١٣/٣.

[٣] الإربلي، كشف الغمة، ٥٧١/١.

[٤] الكليني، الكافي، ٢٩٧/١-٢٩٨.

المودَّة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^[١]، وآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^[٢].

كان الإمام عليه السلام يستحضر أحاديث جدّه عليه السلام كحديث الثقلين الذي يجعل التمسك بأهل البيت عليه السلام قريباً للتمسك بالقرآن، وحديث السفينة الذي يصورهم كسفينة النجاة، والأحاديث الخاصة في فضل الحسين عليه السلام مثل «الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة»^[٣] و«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^[٤].

كان الإمام عليه السلام حريصاً على بيان استمرارية خطّ الإمامة. ففي وصيّته لمحمد بن الحنفية، صرح بإمامة الإمام الحسين عليه السلام من بعده، وأنها «وراثه من النبي عليه السلام»، و«عند الله جلّ اسمه في الكتاب»، وأنها سلسلة متصلة من الاصطفاء والاختيار الإلهي، وأوصاه بالولاء للإمام الجديد ونصرته^[٥]. وفي وصيّته لجنادة بن أبي أمية، أشار إلى حديث النبي عليه السلام عن الأئمة الاثني عشر من ولد علي وفاطمة عليه السلام^[٦].

ارتبط مفهوم الإمامة في فكر أهل البيت عليه السلام بصفات جوهرية كالعلم اللدني والعصمة. أكد الإمام عليه السلام على أنّ الأئمة عليه السلام يتمتعون بعلم خاصّ مستمدّ من الله تعالى أو موروث عن رسول الله عليه السلام. ففي رسالته إلى (عبد الله بن) جندب، يقول عن أهل البيت عليه السلام: «عندنا علم المنايا والبلايا، وفصل الخطاب، ومواليد الإسلام، وإنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق...»^[٧]. هذا يشمل العلم بالمستقبل، والقدرة على الحكم بالحقّ، والعلم بتفاصيل الشريعة،

[١] الشورى: ٢٣

[٢] الأحزاب: ٣٣. راجع: المفيد، الإرشاد، ٨/٢.

[٣] ابن أبي شيبة، المصنف، ٣٧٨/٦ (بترق مختلفة)؛ الصدوق، الأمالي، ٥٥٨ (عن الإمام الحسن [ع] نفسه).

[٤] الصدوق، علل الشرائع، ٢١١/١.

[٥] الكليني، الكافي، ٣٠٠/١.

[٦] الخزاز، كفاية الأثر، ٢٢٦-٢٢٧.

[٧] الأحمدى الميانجي، مكاتيب الأئمة عليه السلام، ١٣/٣.



والقدرة على تمييز بواطن الناس. وقد تجلّى هذا العلم في إجابته على أسئلة الخضر عليه السلام المعقدة^[١]، وقدرته على حلّ المسائل الفقهيّة الدقيقة وهو غلام^[٢]. كما يدلّ على ذلك ما ورد عنه عليه السلام في وصيّته لمحمد بن الحنفية، قال كلاماً يدلّ على ما في صدره من علوم وأسرار إلهية عميقة، وربما كان بعضها يتعلّق بأحداث مستقبلية كبرى: «ألا وإنّ في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء، ولا تغيره نعمة الرياح، كالكتاب المعجم في الرق المنمنم، أهمّ بإبدائه، فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل... ولو وجدت له حملة لنشرته، ولكن أقلّ القليل، والله المستعان»^[٣].

مفهوم العصمة المطلقة لأهل البيت عليهم السلام حاضرٌ بقوة في تعاليم الإمام عليه السلام، وهو من أهمّ شروط الإمامة. والدليل الأبرز هو استشهاد المتكرّر بآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^[٤].

المعاد وحقيقة الحياة الدنيا

يشكل الإيمان بالمعاد ركناً أساسياً من أركان العقيدة الإسلاميّة. ولقد أولى الإمام الحسن عليه السلام هذا الأصل الاعتقاديّ عنايةً، مؤكّداً حتمية الموت وضرورة الاستعداد للآخرة، ومحذراً من الاغترار بالدنيا الفانية. لم تكن دعوته مجرد ترهيب، بل دعوة إلى حياة واعية هادفة. كان الإمام عليه السلام يركز على حقيقة الموت التي لا مفرّ منها، وضرورة التيقظ والاستعداد لها. ففي وصيّته الشهيرة لجنادة بن أبي أمية، قال عليه السلام: «استعد لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه. واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً

[١] الصدوق، علل الشرائع، ٩٦/١-٩٨.

[٢] الكليني، الكافي، ٢٠٢/٧-٢٠٣.

[٣] م. ن، ٣٠٠/١-٣٠١.

[٤] الأحزاب: ٣٣. المفيد، الإرشاد، ٩/٢.

لغيرك»^[١].

هذا التوجيه المباشر يشبه الموت بالسفر الذي يتطلب استعداداً وزاداً هو التقوى والعمل الصالح، ويؤكد أنّ الموت قد يأتي بغتة. الصورة البلاغية للإنسان الذي يطلب الدنيا والموت يطلبه تهدف لإيقاظه من غفلته. كما أنّ التوجيه بعدم الاستغراق في هموم المستقبل على حساب الحاضر، والتذكير بحقيقة المال الزائد عن الحاجة، كلّها دعوات لعدم الحرص المذموم على الدنيا. أكد الإمام عليه السلام على أنّ الدنيا ليست دار قرار، بل مرحلة انتقالية ودار امتحان. ففي تنمة وصيته لجنادة، يقول عليه السلام: «واعلم أنّ في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً، وفي الشبهات عتاباً. فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك... واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^[٢].

هذا التقسيم الثلاثي (حلالها حساب، حرامها عقاب، شبهاتها عتاب) يدعو للحذر الشديد. وتشبيه الدنيا بالميتة يجسد مفهوم الزهد الحقيقي.

والقاعدة الذهبية «واعمل لدنياك ...». تقدم منهجاً متوازناً للحياة يجمع بين إعمار الدنيا والاستعداد للآخرة. قدّم الإمام عليه السلام تشخيصاً نفسياً واجتماعياً لسبب نفور الناس من الموت. فقد روي أنّه سُئل: (ما بالنا نكره الموت ولا نحبه؟) فقال عليه السلام: «لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب»^[٣]. هذا التشخيص الدقيق لداء التعلق المذموم بالدنيا يربط بين سلوك الإنسان في إعمار دنياه وإهمال آخرته، وبين شعوره بكرامية الانتقال إلى ما أهمله. وفي رواية أطول، يميز الإمام عليه السلام بين الموت ك(أعظم سرور يرد على المؤمنين)، و (أعظم ثبور يرد على الكافرين).

[١] الخزاز، كفاية الأثر، ٢٢٧.

[٢] م.ن. ٢٢٧-٢٢٨.

[٣] الصدوق، معاني الأخبار، ٣٨٩-٣٩٠.



منهجية الإمام الحسن عليه السلام في تأسيس المعارف وتثبيتها

لم يكن دور الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مقتصرًا على امتلاك المعرفة الإلهية، بل تعداه إلى الاضطلاع بمسؤولية تبين هذه المعارف للأمة. إن عملية نقل المعرفة تتطلب منهجية واعية وأدوات فعّالة.

المرجعية العليا للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

يشكّل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المصدرين الأساسيين للمعرفة والتشريع في الإسلام. ولم تكن تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام إلا شرحًا وتفصيلًا لهما. كان القرآن الكريم هو النبراس الأول الذي استضاء به الإمام الحسن عليه السلام في كلّ شؤونه، والمنطلق الأساس في تعاليمه وحججه. لم يكن عليه السلام مجرد قارئ للقرآن، بل كان عالمًا ربانيًا بتأويله وتفسيره. كثيرًا ما كان الإمام عليه السلام يستشهد بالآيات القرآنية لدعم مواقفه. ففي خطبته بعد شهادة أبيه، استدللّ بآية المودة وآية التطهير لإثبات مكانة أهل البيت عليهم السلام^[١]. هذا الاستدلال يربط بين النصّ القرآني ومصادقه الخارجي، ويقدم تفسيرًا إماميًا للآية، ويؤكد على الإرادة الإلهية في التطهير.

وفي رسائله إلى معاوية، استشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^[٢]، لإقامة الحجّة عليه. وحتى في وصيته المتعلقة بدفنه، احتجّ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^[٣]، ليثبت حقّ أهل بيته^[٤]. امتدّ تعامل الإمام عليه السلام مع القرآن إلى تفسير آياته وبيان معانيها. ففي حديث أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان يقول: «إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجلّ جلال بصره، وليلجم الصفة قلبه، فإنّ التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي

[١] المفيد، الإرشاد، ٩/٢.

[٢] الزخرف: ٤٤. الإربلي، كشف الغمة، ٥٧٠/١.

[٣] الأحزاب: ٥٣.

[٤] الكليني، الكافي، ٣٠٢/١.

المستنير في الظلمات بالنور، ينجو به من المهالك»^[١].

هذا القول هو بيان لمنهج التعامل مع القرآن، ودعوة إلى التدبّر والتفكّر فيه. «فليجل جال بصره (أو بضوئه)»، دعوة إلى إمعان النظر في آياته. و«ليلجم الصفة قلبه» قد تعني أن يصفي قلبه من الصفات التي تحجب عنه فهم القرآن. والتأكيد على أنّ «التفكير حياة قلب البصير» هو دعوة صريحة إلى تفعيل العقل.

السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني للتشريع والفهم؛ ولذا، كان الإمام عليه السلام شديد الحرص على نقل أحاديث جده عليه السلام والاحتجاج بها. لقد روى الإمام عليه السلام أحاديث نبوية متنوعة شملت جوانب عقديّة وتشريعيّة وأخلاقيّة. منها حديث دعاء القنوت في الوتر، وحديث الورع «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وحديث حرمة الصدقة على آل محمد^[٢]. ومن الأحاديث الأخرى ذات الدلالات الهامة التي رواها أو استشهد بها، حديث الغدير في بعض طرقه: «من كنت مولاه فعلي مولاه...»^[٣]. إنّ مكانة الإمام عليه السلام بوصفه إماماً معصوماً تضمن أمانته ودقته في النقل، وشموليّة روايته، ومواجهته لمحاولات طمس السنة.

الخطابة والموعظة

تميّزت خطب الإمام عليه السلام بتنوّع مضامينها لتشمل مختلف جوانب الحياة. كان الإمام عليه السلام يولي أهمية كبرى لتثبيت أصول العقيدة. ففي خطبته بعد شهادة أبيه، ركّز على بيان حقّه في الإمامة ومكانة أهل البيت عليهم السلام استناداً إلى أسس عقديّة، مستدلاً بأية التطهير وآية المودّة، ومؤكّداً انتسابه للنبوّة والوصاية^[٤]. وفي خطبته وهو غلام، بدأ بحمد الله وتوحيده وتنزيهه، ثم ختمها بتأكيد محوريّة دور

[١] الحلواني، نزهة الناظر وتنبية خاطر، ٧٣.

[٢] راجع: الحلواني، نزهة الناظر وتنبية خاطر، ٢٨؛ الإربلي، كشف الغمة، ١/٥٣٥.

[٣] الطبري الأملي، بشارة المصطفى، ١٩٦.

[٤] المفيد، الإرشاد، ١٠-٩/٢.



أبيه كبابٍ للأمان والإيمان^[١].

في المواقف السياسيّة الحرجة، كان الإمام عليه السلام يستخدم الخطابة لتعبئة الأمة أو لكشف الحقائق. فعندما تقاعس أهل الكوفة عن نصرته، خطب فيهم موبّخاً ومحذّراً، وكاشفاً عن حقيقة تخاذلهم، وفاضحاً حقيقة عدوّه معاوية وبنو أميّة، ومحذّراً من نواياهم المستقبلية تجاه الدين^[٢]. وبعد إبرام الصلح مع معاوية، خطب خطبةً بليغةً لم تكن مجرد إعلان للصلح، بل كانت بياناً سياسياً وعقدياً، نفى فيها ادّعاء معاوية، وأكّد أحقيّته هو بالخلافة، وبيّن أسباب الصلح (حقن الدماء وصلاح الأمة)، ولوّح بأنّ الأمر قد يكون فتنّةً ومتاعاً إلى حين^[٣]. لم تخلُ خطب الإمام عليه السلام من المواعظ الأخلاقيّة. ففي وصيّته لجنادة بن أبي أميّة، قدّم مواعظ في الزهد والتقوى والعمل للأخرة، وربط العزّ الحقيقي بطاعة الله، ونصح بالاعتدال في طلب الرزق^[٤].

المكاتبات والرسائل

شكّلت المكاتبات والرسائل أداةً تواصليةً وفكريّةً استراتيجيةً بالغة الأهميّة في منهج الإمام الحسن عليه السلام. فكانت وسيلةً لنقل الأفكار، وتوضيح المواقف، وإقامة الحجّة على الخصوم، وتوجيه الأتباع، وحفظ السجلات والعهود.

تعدّ المراسلات التي جرت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان من أبرز الشواهد على منهج الإمام عليه السلام في استخدام الرسالة كأداةٍ سياسيّة وفكريّة. بعد مبايعة الناس للإمام عليه السلام، بادر بمكاتبة معاوية يدعوه إلى بيعته ويذكره بحقّ أهل البيت عليهم السلام، مؤكّداً شرعيّته المستمدّة من وصيّة أبيه، وداعياً معاوية إلى الإنصاف

[١] الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ٧٩-٨٠.

[٢] الراوندي، الخرائج والجرائح، ٥٧٤/٢.

[٣] ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٢٩٠/٤-٢٩١.

[٤] الخزاز، كفاية الأثر، ٢٢٦-٢٢٧.

وحقن الدماء، ومحدّراً من البغي، ومعلناً استعداده للمواجهة إن لزم الأمر^[١]. وعندما رد معاوية برسائل مليئة بالمغالطات، كان الإمام عليه السلام يردّ عليها برسائل أخرى يفنّد فيها ادّعاءاته، ويكشف تناقضاته، ويدافع عن أهليّة أبيه للخلافة، ويرفض شرعيّة مطالبة معاوية بالشام، ويذكره بحتميّة انتصار الحقّ^[٢].

لم تقتصر رسائل الإمام عليه السلام على معاوية، بل شملت شخصيات أخرى. فرسالته المنهجية إلى الحسن البصري في مسألة القضاء والقدر، تعدّ نموذجاً لاستخدام المكاتبة في معالجة المسائل العقديّة الدقيقة وتصحيح المفاهيم، بأسلوب علميّ رصين، ووضوح وتفصيل، وتأصيل شرعيّ وعقليّ، وروح النصح والإرشاد^[٣]. كتب عليه السلام إلى زياد بشأن سعيد بن سرح يأمره برد مظلمته. وردّه الحاسم على زياد بشأن نسبه المزور «من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية... الولد للفراس، وللعاهر الحجر»، يعكس عدم سكوته على الظلم، ودفاعه عن الحقوق، واستخدامه للحجّة الشرعيّة، وشجاعته في قول الحقّ، والإيجاز البليغ^[٤].

الحوار والمناظرة والاحتجاج العقلي

يعدّ الحوار الهادف والمناظرة العلمية من أبرز الأساليب التي اعتمدها الأئمة عليهم السلام في تبين الحقائق. ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام بعيداً عن هذا المنهج، بل وظفه بكفاءة عالية. اشتهر الإمام عليه السلام ببلاغته وقوّة حجّته في مناظراته مع خصومه، خاصّة معاوية وأعوانه. ففي المجالس التي كان يعقدها معاوية، كان الإمام عليه السلام يتصدّى لمحاولات النيل من أهل البيت عليهم السلام. ففي إحدى هذه المجالس، ردّ على معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة ومروان بخطبة بليغة بين

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣١/١٦-٣٢.

[٢] راجع: م. ن، ٣٧/١٦-٣٩.

[٣] ابن شعبة، تحف العقول، ٢٣١.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩٤/١٦.



فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام ومثالب بني أمية، وأفحمهم جميعاً. منهجه في هذا الاحتجاج تضمّن الردّ المباشر والتفصيلي، والمقارنة الصريحة بين الأصل والنسب والسيرة، والاستناد إلى الحقائق التاريخية والمواقف النبويّة، والشجاعة في قول الحقّ، واستخدام أسلوب الدعاء عليهم وجعل الحاضرين شهوداً^[١].

بعد الصلح، واجه الإمام عليه السلام انتقادات من بعض أصحابه. فكان يدخل معهم في حوارات هادئة، يوضّح فيها أسباب قراره، وأنّ الظروف لم تكن مواتية للحرب، وأنّ الصلح كان الخيار الأفضل لحقن الدماء وحفظ البقية الباقية من شيعة أبيه^[٢].

القدوة الحسنة والتربية العمليّة

لا تكتمل عمليّة تبين المعارف إلّا بالقدوة الحسنة والسلوك العملي. ولقد كان الإمام الحسن عليه السلام يدرك هذه الحقيقة، فكانت حياته ترجمة صادقة لما يدعو إليه. اشتهر الإمام عليه السلام بحلمه الذي فاق الوصف. قصته مع الرجل الشامي الذي سبه، وكيف قابله الإمام عليه السلام بالحلم والصفح والعرض الكريم للمساعدة «أيها الشيخ، أظنك غريباً...»، ممّا أدّى إلى توبة الرجل واعترافه بفضل الإمام عليه السلام^[٣]. هذا الموقف يمثل قمة ضبط النفس، والتعليم العملي لقيمة الحلم، وتجسيداً لتعاليم القرآن والسنة، وإظهاراً لحقيقة أخلاق أهل البيت عليهم السلام.

كان الإمام عليه السلام من أكرم الناس، حتى لقب بـ (كريم أهل البيت). فقد «قاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات»^[٤]. وعطاؤه السخي للرجل المحتاج حتى أعطى طيلسانه كأجرة للحمال^[٥]. وقصته المؤثرة مع الغلام الأسود الذي كان يطعم كلباً،

[١] راجع: الطبرسي، الاحتجاج، ٢٦٩/١-٢٩٢/٢.

[٢] راجع: المجلسي، بحار الأنوار، ١١٠/٤٤-١٣٣.

[٣] راجع: ابن شهر آشوب، مناقب، ١٩/٤.

[٤] البحراني، حلية الأبرار، ٥٩/٤.

[٥] ابن شهر آشوب، مناقب، ١٦/٤.

فاشترى الإمام عليه السلام الغلام والبستان وأعتقه ووهبه له^[١]. هذا الكرم يعكس زهداً عملياً، وتعليماً لقيمة الرحمة، وجزءاً أصيلاً من شخصيته الإمامية، ووسيلة لتعليم التوكل على الله. كان الإمام عليه السلام مثلاً للعابد الخاشع. فقد حج «خمساً وعشرين حجة ماشياً»^[٢]. وكان «إذا توضعاً ارتعدت مفاصله واصفر لونه» ويقول: «حقُّ على كلِّ من وقف بين يدي ربِّ العرش أن يصفرَّ لونه، وترتعد مفاصله»^[٣]. ودعاؤه عند دخول المسجد: «إلهي، ضيفك ببابك، يا محسن، قد أتاك المسيء ...»^[٤]. وحتى بكاؤه عند الموت كان «لهول المطلع، وفراق الأحبة»^[٥]. هذه العبادة تجسد الإيمان، وتعلم كيفية العبادة الخاشعة، وتظهر التواضع في العبادة، والاستعداد الدائم للموت. بالرغم من نسبه ومقامه، كان الإمام عليه السلام متواضعاً. فقد مرَّ على فقراء يأكلون كسيرات خبز على الأرض، فنزل وأكل معهم قائلاً: «إنَّ الله لا يحبُّ المستكبرين»، ثم دعاهم إلى ضيافته وأكرمهم^[٦]. هذا السلوك يعكس تواضعاً عملياً، وتقديراً لمشاعر الفقراء، وتعليماً لقيمة التواضع، ورد الجميل بالإحسان، وإزالة الحواجز بين القائد والرعية.

كان الإمام عليه السلام مربياً حكيماً ومعلماً قديراً، يستخدم أساليب تربوية تتسم بالرفق. القصة المشهورة لتعليمه وأخيه الحسين عليهما السلام الوضوء الصحيح لشيخ كبير كان لا يحسن الوضوء، من خلال تظاهرهما بالاختلاف وطلب الحكم من الشيخ بعد أن يتوضأ كلُّ منهما أمامه. فلما رأى الشيخ وضوءهما الصحيح، أدرك خطأه بنفسه وشكرهما^[٧]. هذا الأسلوب يحفظ كرامة المتعلِّم، ويشجعه على

[١] ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، ٢٤٦/١٣.

[٢] ابن شهر آشوب، مناقب، ١٤/٤.

[٣] المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣٩/٤٣.

[٤] ابن شهر آشوب، مناقب، ١٤/٤.

[٥] الكليني، الكافي، ٤٦١/١.

[٦] ابن شهر آشوب، مناقب، ٢٣/٤.

[٧] المجلسي، بحار الأنوار، ٣١٩/٤٣.



اكتشاف الخطأ بنفسه، ويعلم بالقدوة العملية، ويعكس الرفق والشفقة والذكاء التربوي، ويترك أثراً إيجابياً عميقاً.

كان الإمام عليه السلام ينتهز الفرص لتقديم النصح. ففي وصيته لجنادة، ربط العزّ الحقيقيّ بطاعة الله، ونصح بالاعتدال في طلب الرزق. منهجه في التوجيه كان يركز على القيم الجوهرية، ويستخدم لغةً سهلةً ومؤثّرة، ويربط بين الإيمان والسلوك، ويراعي أحوال المخاطبين.

الوصايا الجامعة

تعدّ الوصية من الأساليب البليغة في نقل الخلاصات الفكرية. ولقد كان لأئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الإمام الحسن عليه السلام، وصايا متعدّدة وجهوها في مناسبات مختلفة. تنوّعت وصايا الإمام عليه السلام لتشمل جوانب متعدّدة، عكست اهتماماته ومسؤولياته. كانت قضية الإمامة وتحديد الإمام اللاحق من أهمّ المسائل. ففي وصيته للإمام الحسين عليه السلام، أكّد على حقّه في الدفن بجوار جدّه عليه السلام. أما وصيته لمحمد بن الحنفية، فكانت أكثر صراحةً في تحديد الإمام من بعده، حيث نصّ على إمامة أخيه الحسين عليه السلام، وأنها (وراثه من النبي صلى الله عليه وآله)، وسلسلة متصلة من الاصطفاء الإلهي، وأوصاه بالبر بالحسين عليه السلام ونصرته، مع التوصية بكتمان الأمر حتى وفاته^[١].

وفي وصيته لجنادة بن أبي أمية، أشار إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله عن الأئمة الاثني عشر، وأنهم «ما منّا إلّا مسمومٌ أو مقتول». فهذه الوصية تعدّ مدرسة متكاملة في الزهد والأخلاق. منها قوله: «يا جنادة... وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة... فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله... وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به...»، ويقدم فيها معايير لاختيار الأصحاب الصالحين^[٢]. هذه الوصية تقدّم

[١] راجع: الكليني، الكافي، ٣٠٠/١-٣٠٣.

[٢] الخزاز، كفاية الأثر، ٢٢٦-٢٢٧.

مفاهيم بديلة للقيم الدنيوية، وتوجّه إلى الإحسان في العبادة، وتضع قاعدةً ذهبيّةً في التعامل مع الناس.

كان الإمام عليه السلام يتمتع ببصيرةٍ تمكّنه من استشرف المستقبل. وصيّته للإمام الحسين عليه السلام بعدم إراقة محجمة دم في حال منع دفنه بجوار جدّه عليه السلام تعكس هذا الاستشراق، وتأكيداً على الحقّ الشرعي، وحرصه الشديد على حقن الدماء، وإحالاته الخصومة إلى الله ورسوله^[١]. وكذلك وصيّته لابنه القاسم بن الحسن عليه السلام بنصرة عمّه الحسين عليه السلام في كربلاء، تظهر اهتمامه بمستقبل الدعوة وضرورة التضحية^[٢].

مواجهة الإمام الحسن عليه السلام للتحديات الفكرية والانحرافات العقديّة

لم تخلُ ساحة الفكر الإسلامي في عصر الإمام الحسن عليه السلام من تحدياتٍ وانحرافاتٍ عقديّة. وقد تصدّى عليه السلام لهذه التحديات بمنهجيةٍ حكيمة، جمعت بين الحجّة الدامغة، والصبر الاستراتيجي، والسعي الدؤوب لإقامة الحجّة وكشف الزيف. شكّل المشروع السياسي والفكري لبني أميّة التحدي الأكبر للإمام الحسن عليه السلام. لم يكن هذا المشروع مجرد نزاعٍ سياسي، بل كان يهدف إلى تغيير هويّة الإسلام. وقد واجه الإمام عليه السلام هذا المشروع الخطير بكلّ ما أوتي من حكمةٍ وبصيرة. أكد الإمام عليه السلام أنّ حقّه في الخلافة مستمدٌ من الشرعيّة الإلهية. ففي رسالته إلى معاوية، بعد تأكيد شرعيّته كأمر للمؤمنين، والتذكير بالأسس الدنيّة للقيادة، ونقد ما جرى بعد وفاة النبي عليه السلام من إقصاء لأهل البيت عليهم السلام، والاحتجاج بالوصيّة، دعاه إلى الإنصاف ونبذ البغي، وحذّره من مغبّة إراقة الدماء، معلّناً استعداداه للمواجهة إن لزم الأمر. وعندما ردّ معاوية برسائلٍ مليئةٍ بالمغالطات، كان الإمام عليه السلام يردّ عليها برسائلٍ أخرى يفنّد فيها ادّعاءاته، ويكشف

[١] راجع: الكليني، الكافي، ٣٠١/١ و ٣٠٢-٣٠٣.

[٢] راجع: البحراني، مدينة معاجز الأئمة، ٣٦٦/٣-٣٦٨.



تناقضاته، ويدافع عن أهليّة أبيه للخلافة، ويفرض شرعيّة مطالبة معاوية بالشام، ويذكره بحتميّة انتصار الحقّ^[١].

لم يكن الإمام عليه السلام يرى في معاوية منافساً سياسياً، بل يدرك أنّه ممثّل لمشروع يهدف إلى تحريف الإسلام. ففي خطبته أمام أهل الكوفة، وصف معاوية وبنو أمية بأنهم «لم يؤمنوا بالله ولا برسوله قط، ولا أظهروا الإسلام ... إلّا فرقاً من السيف»، وأنهم «يبغون دين الله عوجاً»، وأنّ هذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله.^[٢] هذا التوصيف يكشف عن عمق رؤية الإمام عليه السلام.

قرار الصلح مع معاوية كان قراراً استراتيجياً حكيماً، فرضته الضرورة القاهرة، وكان يهدف إلى حقن دماء المسلمين، والحفاظ على البقيّة الباقية من المؤمنين، وكشف حقيقة معاوية. شروط الصلح (العمل بالكتاب والسنة، عدم العهد لأحد، أمان الناس وشيعة علي، ترك سب أمير المؤمنين)، كانت بمنزلة حجّة دائمة على معاوية الذي نقضها، ممّا فضح نواياه^[٣]. وقد صرح الإمام عليه السلام بأنّ الصلح كان «لصلاح الأمة»، وأنّه قد يكون «فتنة لكم ومتاع إلى حين»^[٤].

امتدّت مواجهة الإمام عليه السلام لتشمل رموز المشروع الأموي. كان زياد بن أبيه والياً لمعاوية وعُرف ببطشه. تصدّى الإمام عليه السلام لممارساته. فعندما تعرّض زياد لسعيد بن سرح، كتب إليه الإمام عليه السلام يأمره برد مظلمته. ولما رد زياد بجفاء، واجهه الإمام عليه السلام بحقيقة نسبه المزور برسالة قاصعة: «من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سميّة ... الولد للفراش، وللعاهر الحجر»^[٥]. هذه المواجهة تعكس عدم سكوته على الظلم، ودفاعه عن الحقوق، واستخدامه للحجّة الشرعيّة، وشجاعته. كان

[١] راجع: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣١/١٦-٣٩.

[٢] الراوندي، الخرائج والجرائح، ٥٧٤/٢.

[٣] ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٢٩٠/٤-٢٩١.

[٤] الإربلي، كشف الغمة، ٥٧١/١.

[٥] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩٤/١٦.

مروان بن الحكم من أشدّ المعادين لأهل البيت عليهم السلام. موقفه من منع دفن الإمام الحسن عليه السلام بجوار جدّه عليه السلام كشف عن حقه^[١]. وعندما كان مروان يسبّ أمير المؤمنين عليه السلام، كان الإمام عليه السلام يرد عليه تارةً بالصبر وتارةً بالحجّة، قائلاً له في إحدى المرات: «إني والله لا أمحو عنك شيئاً ...»^[٢].

لم تقتصر التحدّيات الفكرية على المشروع الأموي، بل امتدت لتشمل تيارات أخرى. وقد تصدّى عليه السلام لهذه الانحرافات بالحجّة والبرهان. يهدف هذا المبحث إلى استكشاف كيفية تعامل الإمام عليه السلام مع هذه التيارات. شكل الخوارج تحدياً فكرياً وعسكرياً. بعد صلح الإمام عليه السلام، عدّ قسمٌ منهم كلا الطرفين على غير الحقّ. عندما طلب معاوية من الإمام عليه السلام الخروج لقتال الخوارج، كان جواب الإمام عليه السلام حاسماً: «أما بعد؛ فلو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فإني تركتك لصلاح الأمة، وحقن دماؤها. فذاك الذي خرج فإنما خرج عليك، وأنت أولى بقتاله ...»^[٣]. فهذا الجواب يحدّد العدو الحقيقي، ويؤكد حكمة الصلح، ويلقي المسؤولية على معاوية، وهو موقفٌ استراتيجيٌّ، وليس تبريراً للخوارج، ويحافظ على استقلالية الموقف.

شهد العصر جدلاً حول القضاء والقدر. رسالة الإمام عليه السلام إلى الحسن البصري كانت بياناً شافياً، أكدت على الإيمان بالقدر (علم الله الشامل)، ورفضت نسبة المعاصي إلى الله، وأسست لمبدأ «الأمر بين الأمرين» (لا جبر ولا تفويض)، وأوضحت العلاقة بين القدرة الإلهية والاستطاعة البشرية، وبيّنت دور المشيئة الإلهية في الطاعة والمعصية، واستدلّت بالقرآن والحجّة العقلية، وخلصت إلى أنّ الله «أمرهم تخييراً ونهاهم تحذيراً»^[٤]. فمنهج الإمام عليه السلام في هذه الرسالة تميّز

[١] راجع: المفيد، الإرشاد، ١٧/٢-١٨.

[٢] [المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٢/٤٣.

[٣] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٠٩/٣.

[٤] ابن شعبة، تحف العقول، ٢٣١-٢٣٢.



بالمبادرة لتصحيح الخطأ، والأسلوب العلمي الهادئ، والوضوح والتفصيل، والتأصيل الشرعي والعقلي، وروح النصح والإرشاد.

لم تقتصر التحديّات على الخصوم الخارجيين، بل امتدّت لتشمل تخاذل بعض الأتباع. وقد تعامل الإمام عليه السلام مع هذا الوضع بصبرٍ وحكمة، وسعى إلى إقامة الحجّة، وتوضيح الحقائق، وكشف الدوافع، وتحميل كلِّ طرفٍ مسؤوليته. واجه الإمام عليه السلام تخاذل أهل الكوفة بخطب قويّة وصريحة، كشف فيها عن حقيقة نواياهم، وحذّرهم من عواقب تقاعسهم. ففي خطبته في المدائن بعد محاولة اغتياله، والتي أشار فيها إلى أنّهم غرّروا به كما غرّروا بأبيه، ووصفهم بأنّهم «عييد الدنيا»، وحملهم مسؤولية المستقبل، وعبر عن يأسه من وفائهم، وأعاد التأكيد على حقيقة المشروع الأموي، وشبههم بالقرية الظالم أهلها^[١]. أثار قرار الصلح جدلاً واسعاً وانتقادات حتى من بعض خواص أصحاب الإمام عليه السلام. وقد تصدّى عليه السلام لهذه الشبهات بصبرٍ وحكمة، مبيّناً الأسباب الحقيقيّة التي دعت به إلى هذا القرار. فقال في خطبته بعد الصلح، أوضح الإمام عليه السلام أنّ الدافع الأساس لقراره هو مصلحة الأمة، مؤكّداً أحقيّته بالخلافة، ومبيّناً الدوافع النبيلة للصلح، ومذكّراً بشروط البيعة، وملوّحاً بأنّ الأمر قد يكون اختباراً وفتنة^[٢].

وعندما واجه انتقادات من أصحابه مثل سليمان بن صرد الخزاعي، وحجر بن عدي، والمسيب بن نجبة، كان الإمام عليه السلام يستقبل انتقاداتهم بصدرٍ رحب، ويوضّح لهم أنّ ما فعله كان الخيار الوحيد المتاح، وأنّه لو وجد أنصاراً لما تردّد في القتال، وشبّه صلحه بصلح الحديدية، مؤكّداً أنّ قراره كان يهدف للمصلحة العليا للأمة^[٣]. منهجه في التعامل مع هذه الانتقادات تميز باستيعاب الغضب، والتوضيح بالحجّة، والتشبيه بمواقف نبويّة، والتأكيد على المصلحة العليا،

[١] المسعودي، إثبات الوصية، ١٥٨-١٥٩؛ كذلك، راجع: المفيد، الإرشاد، ١١٢-١٣.

[٢] الإبلي، كشف الغمة، ٥٧١/١.

[٣] راجع: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٨٣/١-١٨٧.

والصبر على الأذى. لقد تجلّى صبر الإمام عليه السلام وحلمه بأبهى صورته في تعامله مع الاتهامات وسوء الفهم. فبالرغم من الألم، ظلّ متماسكاً، حكيمًا، صبورًا، يسعى إلى توضيح الحقائق بالحسنى، ويتحمّل الأذى في سبيل الله ومصالحة الأمة.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي سعت إلى استجلاء الأبعاد العقديّة والفكريّة والمنهجية في سيرة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج التي تؤكد على الدور المحوري الذي اضطلع به الإمام السبط عليه السلام بوصفه قائدًا رباّنياً، ومرجعياً عقديّاً للأمة.

أولاً: أصالة وعمق المنظومة العقديّة للإمام الحسن عليه السلام وارتباطها الوثيق بالوحي: لقد أثبتت الدراسة أنّ الإمام عليه السلام قدّم منظومة عقديّة متكاملة في التوحيد (مؤكّداً على تنزيه الله ومبدأ الأمر بين الأمرين)، والنبوة (مبرزاً مقام الرسول الأعظم عليه السلام وعالمية رسالته)، والإمامة (مرسّخاً مفهومها كأصل عقديّ وعهدٍ إلهيّ واستمرارٍ لخط الأنمة الاثني عشر)، والمعاد (محدّراً من الدنيا وحثاً على الاستعداد للآخرة)، بالإضافة إلى مسائل عقديّة أخرى مهمّة.

ثانياً: تكامل وتنوّع منهجية الإمام الحسن عليه السلام في تبين المعارف: اتّبع الإمام عليه السلام منهجيةً متعددة الأبعاد وفعّالة، شملت الاستناد المطلق إلى القرآن والسنة، والخطابة البليغة والمؤثّرة، والمكاتبات الدقيقة والموثّقة، والحوار العلمي والمناظرة العقلية، والقدوة الحسنة المتجسّدة في سيرته، واستخدام الوصايا لنقل الخلاصات الفكرية.

ثالثاً: حكمة وبصيرة في مواجهة التحديات الفكرية والانحرافات العقديّة: واجه الإمام عليه السلام تحدياتٍ جسيمة (المشروع الأموي، التيارات المنحرفة، التخاذل الداخلي) بحكمة بالغة وبصيرة نافذة، ففتدّ الادّعاءات، وصحّح المفاهيم، وتعامل



مع الظروف القاهرة بقراراتٍ استراتيجيةٍ (كالصلح) تهدف إلى تحقيق المصالح العليا للأمة.

رابعاً: الأثر الخالد للإمام الحسن عليه السلام كمرجعيةٍ فكريةٍ وعقديةٍ ومنازةٍ هدايةٍ للأجيال: أنّ تعاليم الإمام عليه السلام ومنهجيةً ومواقفه كان لها أثرٌ بالغٌ في الحفاظ على نقاء العقيدة الإسلامية، وتوجيه الفكر الإسلامي، وترسيخ مفهوم الإمامة، وتقديم نموذجٍ للقيادة الحكيمة. سيرته وفكره يمثلان منارةً هدايةً ومصدراً للإلهام.

وختاماً، فإنّ الغوص في بحر علوم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وفكره الثاقب، ومنهجه القويم وسيرته العطرة هو رحلةٌ معرفيةٌ وروحيةٌ لا تنتهي، وما هذه الدراسة إلا محاولة متواضعة لإضاءة بعض جوانب هذه الشخصية الإسلامية الفذة التي ملأت الدنيا علماً وحكمةً وصلاحاً. نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يوفّقنا للسير على هدى كتابه وسنة نبيه ومنهج أوليائه الصالحين. وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

المصادر

١. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن حسين، مقاتل الطالبين، لبنان- بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٩هـ.
٢. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، لبنان- بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
٣. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، إيران- قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ.
٤. ابن أبي شيبة، عبد الله، المصنّف في الأحاديث والآثار، السعودية- الرياض، مكتبة الرشيد، ١٤٠٩هـ.
٥. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، لبنان - بيروت، دار الأضواء، ١٤١١هـ.
٦. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، لبنان- بيروت، دار صادر، ١٣٨٥.
٧. ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، إيران- قم، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٨. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، إيران- قم، علامه، ١٣٧٩.
٩. ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، لبنان- بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
١٠. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، لبنان - بيروت، دار الأضواء، ١٤١٠هـ.
١١. الأحمدي الميانجي، علي، مكاتيب الأئمة عليهم السلام، إيران- قم، دار الحديث، ١٤٢٦هـ.
١٢. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، إيران- تبريز، بني هاشمي، ١٣٨١.
١٣. البحراني، هاشم، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام، إيران- قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.
١٤. ———، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر، إيران- قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ.
١٥. الحلواني، حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية خاطر، إيران- قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٨هـ.
١٦. الخزّاز، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، إيران- قم، بيدار، ١٤٠١هـ.



١٧. الراوندي، سعيد بن هبة الله. الخرائج والجرائح، إيران- قم، مؤسسة الإمام المهدي ﷺ، ١٤٠٩هـ.
١٨. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، إيران- طهران، كتابچی، ١٣٧٦.
١٩. ———، علل الشرائع، إيران- قم، مكتبة الداوري، ١٩٦٦م.
٢٠. ———، معاني الأخبار، إيران- قم، مؤسسة النشر الإسلامي - مؤسسة الإمام الصادق ﷺ، ١٤٠٣هـ.
٢١. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، إيران- مشهد، نشر المرتضى، ١٤٠٣هـ.
٢٢. الطبري الأملي، محمد بن علي، بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، العراق- النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٣.
٢٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، لبنان- بيروت، دار التراث، ١٩٦٧م.
٢٤. الطوسي، محمد بن حسن، الأمالي، إيران- قم، دار الثقافة، ١٤٠٤هـ.
٢٥. الطيالسي، أبو داود، مسند أبي داود الطيالسي، مصر، دار هجر، ١٤١٩هـ.
٢٦. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، إيران- طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧هـ.
٢٧. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، إيران- طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع والنشر، ١٤١٠هـ.
٢٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، لبنان- بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.
٢٩. المسعودي، علي بن حسين، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، إيران- قم، انصاريان، ١٤٢٦هـ.
٣٠. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، إيران- قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
٣١. معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسن المجتبي A، إيران- طهران، پژوهشكده باقر العلوم ﷺ، ١٣٩٢.

